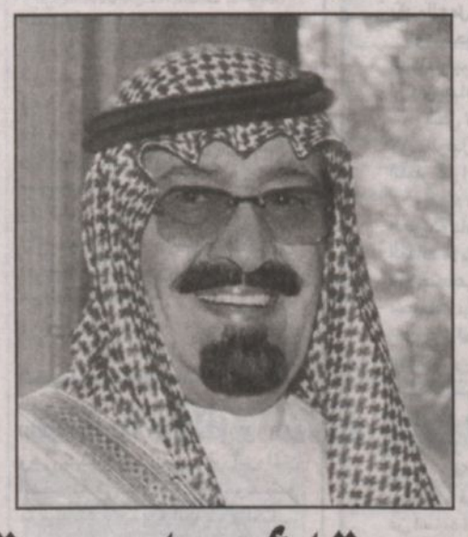

خالد الفيصل: شاهد عيان على مسافة التنمية

شهادتي تستمد وقائعها من قادة بذلوا جهوداً في توجيه المسيرة بكل طموح

قال لي الفيصل عندما أردت أن يوصيني: أطع أعمامك وأوصيك بمخافة الله وإرضاء الضمير

■ إذا كان هدف خطة التنمية (الخطة الخمسية) منذ بدايتها «العمل على إسعاد المواطن» فإن المعنى يتجلى في كافة الانجازات التي تحققت بتوالي الخطط الخمسية والتي مازالت مستمرة تتجدد وتتمدد بعد نهاية كل خطة لانها أتت منافعها وقدمت الكثير للوطن والمواطن حيث تمت نقلة حضارية من الى. حتى تحقق للمملكة المكان الذي تحتله في المنظومة الدولية التي تعترف لها بل ما حققته وجعلت منه انموذجا ليستفيد منه الأخر المتوجه للأخذ باسباب النماء..

ويدرك كل من تجاوز أو اقترب عمره من الاربعين عاما مدى تأثير ومردود الخطط الخمسية (التنموية) في كيان البلاد من اقصاها الى اقصاها ومدة الانجازات والمشاريع التي تحققت على كافة الصعد التي من أهمها (التعليم، الصحة، المواصلات، الأمن) وكل ما له علاقة بهذه العناصر المهمة الأربعة وما يتفرع منها وما يندرج تحت مظلتها مهما اختلفت المسميات لكونها درجت من منابعها الأصيلة التي هي القاعدة الأساس لكل خطوة نحو النمو بغية التكامل الذي يتأتى بالمثابرة ومواصلة المسيرة التي لا تعرف الكلل والملل، وهذا ما عهدناه ولازلنا ندركه منذ تأسيس هذا الكيان العظيم بقيادة صقر الصحراء الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه وعبر العهود التي تشرف بتسنم القيادة فيها ابناؤه البررة من بعده الى هذا العهد الزاهر في ظل قائد المسيرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أمد الله في عمره.

إن كل مسؤول ومعظمهم قد عايش خطط النماء حسب المستويات وكل في موقعه وعند من عايش يكون الكثير وخصوصا اذا كان موقعه المباشر يحتم عليه الدخول الى جوانية وعمق المدلول للحظة بالمعايشة والتنفيذ مع الاشراف..

صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل الأمير الشاعر الفنان الحاكم الاداري لمنطقة غالية في قلوبنا وعقولنا منطقة عسير، وكل المناطق الغالية لانها جميعا تحتل منظومة الكيان الكبير المملكة العربية السعودية - عايش وشاهد بدايات الخطة بالمشاركة العملية والتنفيذ الذي بدأ بالفكرة ثم الدراسة ثم المشروع والتنفيذ فقدم خلاصة تجربة يجسد فيها رؤى المسؤول من عمق الفعل (الفكرة - التنفيذ) وكانت ضمن كتاب يحمل عنوان (مسافة التنمية وشاهد عيان) صدر مؤخرا..

وذلك بحكم موقعه كأمير لمنطقة عسير التي شهدت تطوراً ملموساً في شتى قطاعاتها ولازالت مستمرة في التطور والأخذ بأسباب الجديد المفيد وتسجيل رجل بقامة خالد الفيصل لبعض من شهاداته ومعاناته ووضعها امام القارىء هي في حد ذاتها فائدة لمن اراد ان يطلع على حجم المرحلة الانتقالية التي شهدتها المنطقة وهي صورة لمناطق أخرى مع التفاوت شهدت المرحلة ذاتها مما يجعل الأهمية التي يحتويها الكتاب شاملة للجميع ويستفيد منها المماثل اذ لا يمكن لرحلة النماء والتطور تبعا لسنة الحياة ان تتوقف عند حد حيث المستجدات تتوالى والشمولية والعولمة تحتم اللحاق والمواكبة ضمن اطار العقيدة الراسخة التي هي الأساس والدستور المحتم المحافظة عليه وقد جاءت الشهادات والصور عبر طرح بعيد عن التقعر الاسلوبي والرقمي حيث ساد الأسلوب الشفاف الشاعري مع عدم اغفال الارقام وذكر القرارات في سرد اشبه ما يكون بالسيرة الذاتية والمذكرات تبعا لذكر المواقع والأحداث بالتاريخ أي تحديد الزمان والمكان حيث صدر قرار تعيينه اميرا لمنطقة عسير في ١٣٩١/٢/٢٣هـ..

الإشارة الأولى

بدأ الكتاب بالإهداء التالي «إلى أبي.. لعلّي وفّيت بعضاً من حق الثقة»..

ثم يكون مدخل الكتاب بكلمة شكر عميقة مؤثرة..

«يسعدني أن أقدم خالص الشكر والتقدير الى كل من وقفوا وراء هذه اللمحة الوطنية بالعون والمساندة.. والى كل من ساهم معي في تسجيلها في هذا الكتاب..

مؤكدا ان الاسماء التي وردت بين ثناياه ليست على سبيل الحصر، وانما اقتضى ذكرها سياق الحديث عن تجارب تنموية كانت لأصحابها علاقة بتلك التجارب..

وهناك أسماء كثيرة لم تذكر..

من القيادات والوزارات في الرياض..

ورؤساء الادارات في الامارة وفي الدوائر الحكومية والعاملين فيها.. والمواطنين.. ورجال الأعمال، والشركات.. والأصدقاء..

في: أبها، وجدة، والرياض، ومدن المملكة الأخرى..

وقفوا معي وساهموا ولو بالرأي والمشورة والنصيحة..

واليهم جميعا أقدم الشكر والعرفان لما بذلوه من دعم لمسيرة التنمية في عسير..

ولا يفوتني ان أعبر على وجه الخصوص عن سعادتي البالغة وأنا أرى أبناء المنطقة يتسابقون لتقديم العون لمنطقتهم بأي شيء يستطيعونه وأؤكد للجميع انه مهما صغر هذا العون فإن قيمته تبقى كبيرة.

وسعادتي البالغة وأنا أراهم واسمعهم يعبرون عن اعتزازهم بما أنجز في منطقتهم فالاعتزاز مرتبة عالية من الرضى، تصل حد الرفاهية التي هي هدف أساسي لخطة التنمية.

وانني أؤكد ان هناك الكثير والكثير من المواطنين لم يسعدني الحظ ان اقابلهم واتعرف عليهم شخصيا، ولكني على يقين من انهم بذلوا الكثير في سبيل تنمية منطقتهم وقدموا كل ما في وسعهم لتحقيق هذه النقلة الحضارية.

وهنا - في نظري - قمة النجاح للخطة التنموية حيث جعلت المواطن شريكا فاعلا وحارسا أمينا على منجزاتها باعتبارها منجزاته هو.

وكلمة صادقة أقولها للجميع «العمل معكم متعة»..

وقد اشتمل الكتاب على خمسة أبواب تسلسلت بعد كلمات الإهداء، شكر وتقدير، تمهيد، شهادة للتاريخ، المقدمة

الباب الأول: الإمارة

الإمارة ومنهج الحكم السعودي: موعد مع القدر، الحب من أول نظرة، الوكيل والنائب، جسور الصلة، أهمية العلاقات والاتصالات الشخصية، معوقات وسلبيات، تنسيق الخدمات وتنميتها، بداية الانطلاق، الاجتماع الدوري للادارات الحكومية، اللجنة العامة لتنسيق الخدمات، واللجنة الفرعية لتنسيق الخدمات، التنسيق.. ومشروعات الجهود الذاتية، تطور ادارة التنسيق في الامارة، نظام المناطق، مهام مجلس المنطقة، مهام الأمير، مجلس منطقة عسير..

التطوير الاداري: أطلس عسير، نظام مطور للشكاوى، لجنة التقويم، فرع جديد لديوان الخدمة المدنية، المجمع الحكومي في أبها، مبنى الامارة الجديد..

الباب الثاني: التنمية

أول تقرير عن المنطقة، الخدمات الاساسية، معركة المياه، السدود، تحلية المياه، الطرق، الكهرباء..

تخطيط المدن والبلديات: المخطط الحضري، البلديات، ابها، تخطيط أبها..

الخدمات الأخرى، التعليم، التعليم العام (بنين)، التعليم الجامعي (للبنين)، الخدمات الصحية، الزراعة، البنك الزراعي، فرع المؤسسة العامة لصوامع الغلال، الأوقاف والمساجد، الاتصالات، النقل الجوي، صندوق التنمية العقاري، الصرف الصحي، الشؤون الاجتماعية، الشباب والرياضة، نماذج لما أمكن حصره من الانفاق الحكومي.

الباب الثالث: نماذج تنموية

أحياء.. وحياة جديدة، قرية المفتاحة، حي ذي النميص، حي مدينة سلطان، توطين وتطوير: الحبلة

القرشة، مخطط الخابع، خيرة الفيصل بتهامة الحريضة، مراكز النمو.

● الثقافة والتنمية البشرية:

المرأة.. والتعليم.. والتنمية، جائزة أبها، النادي الأدبي، الصحيفة والمطبعة.

● من مشكلة إلى عامل نمو:

نزاع آل سرحان وآل السريع وآل غليظ، صناديق الخميس، السرح والبشائر، طريق آل ينفع

● مشاكل اجتماعية.. وحلول: غلاء المهور، الاسراف في الولائم.

الباب الرابع

التلاحم بين القطاعين الحكومي والخاص

● لجنة الأهالي:

قرية عسير التراثية في الجنادري.

● الزيارات الملكية وتجميل المدن.

● الجمعيات الخيرية والتعاونية.

● متنزه عسير الوطني.

● السياحة: ارهاصات السياحة، الشركة الوطنية للسياحة في عسير.

● الزيارة الملحمة.

● مسك الختام

الباب الخامس: الملاحق والوثائق والاحصائيات

قال خادم الحرمين الشريفين: ليس لك رأي في الموضوع انما ابلغك الأمر وعليك التنفيذ

● الفصل الأول:

الملاحق، كلمة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني في حفل الأهالي بالبحار ١٤١٩/١/٩هـ، كلمة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، في ختام الندوة المنعقدة بمناسبة افتتاح مشاريع الشركة الوطنية للسياحة بأبها ١٤١٧/١٢/٢٠هـ، كلمة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية في افتتاح مشروع خيرية الفيصل بتهامة.. (الحريضة) ١٤١٩/٦/٢٥هـ، محاضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، عن «دور الإمارة في التنمية بجامعة الملك سعود بالرياض ١٣٩٨/٣/٢٧هـ..

● الفصل الثاني: الوثائق محتويات الفصل.

● الفصل الثالث: الاحصائيات.

● التعليم: تعليم البنين (العام)، التعليم الفني والتدريب المهني.

● تعليم البنين (الجامعي): فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فرع جامعة الملك سعود، كلية المعلمين في أبها، كلية المعلمين في بيشة، تعليم البنات (العام والجامعي)، الطرق والمواصلات.

● الخدمات الصحية: الدبرية العامة للشؤون الصحية، فرع الهلال الأحمر، البلديات، صندوق التنمية العقارية - بنك التسليف في خميس مشيط، مصلحة المياه - مفاجأة لي بكل المقاييس.

دارت الأمور دورتها سريعاً، وأدركت في اليوم التالي مباشرة ان مهلة التفكير في ابعاد القرار محدودة للغاية، فقد دق جرس الهاتف ثانية وكان المتحدث هذه المرة هو عمي الأمير سلمان بن عبدالعزيز الذي بادرني بقوله: مبروك يا أمير عسير. قلت: الله يكتب ما فيه الخير يا سيدي.

ولابد لي هنا من الإشارة إلى النجاح الكبير الذي حظيت به إدارة امارة منطقة الرياض بفضل حكمة سمو الأمير سلمان وشخصيته.. وان كنت - إبّان عملي في رعاية الشباب بالرياض - من المحظوظين الذين شاهدوا عن قرب الأسلوب المتميز الذي يعمل به سموه في إدارة دفة الحكم في منطقته، فإنني كذلك استفدت كثيراً من استشارة سموه ونصائحه لي منذ أول يوم عينت فيه أميراً لمنطقة عسير وحتى الآن، ولن أنسى مواقف سموه الجليلة معي ما حييت.

أيقنت - إذن - أن الأمر جد، لا سيما ان عمي أردف قائلاً: (الأمير) فهد (كان خادم الحرمين الشريفين - أطال الله عمره - وزيراً للداخلية آنذاك) يريدك في منزله صباح الغد قبل ان يذهب إلى العمل، قلت: سمعاً وطاعة.

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي ذهبت إلى منزل عمي (الملك فهد).

ورأسي مشحون بتداعيات الوضع الذي أنا مقدم عليه. كنت اتساءل: لو ان لي حرية الاختيار، فهل بقائي على رأس رعاية الشباب واجتهادي في تنمية هذا القطاع الحيوي أجدى؟ لا سيما انني انتهيت لتوي من مناقشة أول خطة خمسية لرعاية الشباب مع مسؤول التخطيط في الوزارة الدكتور عبدالوهاب عطار (الوزير الحالي) التي اعتمدت بالفعل، وبخاصة ان الحماس كان يملأ جوانحي للاستمرار في تنفيذها، والأمل يحدوني في الوقوف على نتائج توجهاتي التي ضمنتها إياها؟ أم أنها الفرصة قد حانت لتحقيق طموحاتي في نظرية الامارة ودورها الشامل في التنمية؟

وبينما تدور هذه الخواطر في ذهني طوال الطريق فوجئت بمجرد لقائي بعمي (الملك فهد) في الصالون الصغير بمنزله بأمرين غاية في الأهمية:

الأول: ان القرار صدر ولا خيار لي فيه، فقد بادرني عمي بقوله: لقد قرر أعمامك ان تكون أميراً لمنطقة عسير.

ولما سألته: سيدي، هل هو أمر أم خيار؟ بمعنى هل لي رأي في هذا القرار أم لا؟ كان الرد: لا.. ليس لك رأي في الموضوع، وإنما أبلغك الأمر وعليك التنفيذ.

قلت: أمرك على العين والرأس، وأنا أتشرف بتنفيذه.

أما المفاجأة الثانية - في لقائي بعمي - فهي ان كل ما دار بخلدي عن الامارة وتطوير دورها لم يكن بعيداً عن تفكير القيادة، فقد استهل - حفظه الله - لقاءه معي بشرح تطلعاته عن الامارة والمناطق، وكيف ان القيادة تريد تطوير وظيفة الامارة، وأنها بصدد إصدار نظام جديد للمقاطعات (أصبح فيما بعد نظام المناطق)، وشرح لي انه - حفظه الله - يخطط لمنح الإمارات وأمرائها صلاحيات واسعة، ومسؤوليات شاملة للإشراف على كل قطاعات التنمية.

ولقد أزاح هذا الحديث عن صدري حرجاً شديداً كنت لضرب له ألف حساب، حينما كنت أفكر في الطريقة التي أخاطب بها عمي حول طموحاتي في شمولية دور الامارة على نحو ما اسلفت.

ووجدت الطريق ممهداً أمامي لأقول: أرجو ان يتسع صدر سيدي لطلبين: الأول: استأذن سموكم ألا أكون مسؤولاً تقليدياً تنحصر مهمته في نقطة عبور المعاملات بين الشرطة والمحكمة، بل أريد ان اتحمل المسؤولية كاملة أمام سموكم لتحقيق تطلعاتكم في نهوض الامارة بدور حقيقي شامل، من خلال الإشراف العام على تخطيط مشروعات التنمية وتنفيذها، والتنسيق بين جهات التنفيذ، بما يحقق المصلحة العامة، وعلى ان يتم ذلك في إطار مرجعيتي لسموكم، فما ترونه صائباً التزمناه، وما جانب الصواب اجتنباه.

ولم يطل انتظاري للرد، فقد أجابني على الفور: أبداً.. افعل ما تراه.. فقط أريد ان أكون على دراية بما تفعل.

وعدت استوثق من التصريح فقلت: أؤكد لسموكم انني لن أكون تقليدياً، واستأذن سموكم في ان أشرف على كل الفعاليات بالمنطقة.

وجاء التأكيد مكرراً في جوابه حين قال: هذا ما اريده تماماً، وأنا اخترتك لأني أريد هذه النوعية من العمل، ومن التفكير، ومن الإمارة.

واستطرد - حفظه الله - يسألني عن الطلب الثاني فقلت: ان يسمح لي سيدي باستئذان مولاي الملك فيصل بصفته والدي، وله عليّ هذا الحق، فأجابني: بطبيعة الحال أنت تعلم أن ترشيحك لهذا العمل لم يتم إلا بموافقته، ولكن لا بأس ان تستأذنه إذا شئت.

وخرجت من هذه المقابلة بعزيمة واثقة، ولكن.. بعبء كبير من المسؤولية.

لم يبق أمامي إلا ان أحصل على موافقة والدي فذهبت إليه - رحمه الله - وخاطبته قائلاً: مولاي... سيدي سمو الأمير فهد استدعاني، وابلغني بقرار تعييني أميراً لمنطقة عسير، ولقد جئت الآن لتلقي أمركم في هذا الموضوع.

ولكني فوجئت بجوابه: أمرك بيدك، افعل ما تشاء.

استأنفت حديثي موضحاً قصدي وقلت: أنت والدي... ولا يمكن ان أفعل شيئاً أو أتوجه الى أي مكان إلا برضاك، فإذا اردتني ان اذهب الى عسير أذعنت لإرادتك، وإن لم ترض اعتذرت، فرضاؤك أهم ما يعنيني.

كان حديثنا يدور ونحن واقفان، ثم أخذ والدي يمشي وأنا الحقه بآخر عباراتي، فوقف والتفت نحوي، ونظر إليّ طويلاً، ثم قال: اطع أعمامك.

شعرت عند ذلك أنه قصد بهذا التوجيه ان يكون أساساً في تكويني ليس فقط لقبول التكليف الصادر من أعمامي بإمارة عسير فحسب، وإنما لكل مسيرة حياتي، وكأنه كان يحدد لي مَعلماً هاماً من معالم الطريق، مؤكداً أن كل ما يأمرني به أعمامي في كل عمري واجب الطاعة، ولقد ادركت ذلك واستوعبت الدرس جيداً، وعملت به - ومازلت - الى ما شاء الله لي من العمر.

وإذا كان هذا واحداً من أهم التوجيهات الأساسية التي تلقيتها من والدي، فإن مناسبة تعييني أميراً لمنطقة عسير شهدت توجيهاً آخر غاية في الأهمية.

توجيه الفيصل

فعندما تهيأت للسفر إلى أبها لاستلام عملي، كان من الطبيعي أن أذهب لتوديع والدي. ولما سألته وأنا أستودعه: بما توصيني وأنا متوجه الى عملي الجديد؟ قال: «أوصيك بمخافة الله، وإرضاء الضمير». وقد وضعت هذه الوصية نصب عيني ركيزة أساسية، وميزاناً حتمياً عند اتخاذ أي من القرارات، ملتزماً بها في كل أمور العمل والحياة.

وبشكل عام كان للوالد - رحمه الله - أسلوبه الخاص في توجيهنا - نحن أبناءه - بطريق غير مباشر، حيث كان يتحدث في مجالسه مع الآخرين، وهو يعنينا بما يقول، وكنت وإخواني ندرك ذلك جيداً و نستوعب دروسه.

ومن دروسه العالقة بذهني، المؤثرة في تكويني أنه كان دائماً يقول: إن الله قد خلق في كل إنسان منا إرادة قوية، لكن من الناس من يكبح جماح نفسه، ويسلط عليها إرادته، فيفعل ما يجب ويمتنع عما لا يجب، ومنهم من يطلق نفسه وراء الشهوات، ويرخي عنها عنان الإرادة حتى يصبح عبداً لأهوائه وهواياته وشهواته، فيسقط بسقوط إرادته.

وتأسيساً على هذا لم يكن - رحمه الله - يقبل سقطات الإرادة من أحد ولم يكن معذوراً أمامه ذلك الذي يدّعي أنه لم يستطع الإقلاع عن عادة أو هواية ضارة، زاعماً أنه ضعُف أمامها.

وامتثالاً لهذا الدرس تركت كثيراً من هواياتي لمجرد انها قد تعيق إتمام عملي الأساسي على الوجه المطلوب. كما انني تعودت مناطحة الصعب واقتحام العسير. موقناً بما قاله والدي من أن إرادة الإنسان وتصميمه - بعد توفيق الله - أقوى من كل الصعاب والعقبات.

وعن التمييز الفطري لدى الانسان بين الخطأ والصواب مازلت أتذكر حديثه عن الشباب خاصة (كنا وقتها شباباً) وهو يقول: إن من الناس - وخاصة الشباب - من يدّعي انه واجه مفترق طرق فسار في إحداها، لكنه اكتشف - بعد فوات الأوان - انه جانب الطريق الصحيح وسلك الطريق الخاطئ، وهذا الادعاء محض افتراء، لأن الإنسان. كل إنسان - بفطرته التي فطره الله عليها - قادر على تمييز الخطأ من الصواب بسهولة متناهية وعلامة فارقة لا تخطئ أبداً، فالسلك القويم: هو ذلك الذي تود الناس جميعاً أن يعرفوه عنك، ولا تخجل منه أو تحاول إخفاءه، أما المسلك المعوج فهو: «ما حاك في نفسك، وخفت أن يطلع عليه الناس» كما بين الحديث النبوي الشريف.

وعندما حملت عصا الترحال على كتفي متوجهاً الى أبها كانت تربض على كتفي الأخر جبال المسؤولية الكبيرة، تذكرني بها سلسلة جبال السروات الشاهقة الممتدة في عسير، وكان عوني الحقيقي على هذه الرحلة - بعد إيماني بالله - أولاً: ما اكتسبته من والدي وأسلوبه وتعامله وشخصيته التي عرفها الناس وعرفتها - عن قرب - بالصبر والحكمة وبعد النظر، فحاولت دائماً أن أنهل من نهره العذب الصافي.

ثانياً: تأثري بخالي، الأمير سعود بن جلوي - رحمه الله - أمير المنطقة الشرقية الأسبق والذي عشت في كنفه رغداً من الزمان وعرفته - كما عرفه الناس - بالحزم والقوة، وكنت أعجب به أيما إعجاب، كيف لا وهو الأمير الحاكم ابن الأمير الحاكم الذي قضى جُل عمره مسؤولاً عن أغنى منطقة في المملكة. ومات لا يملك منزلاً تسكن فيه عائلته من بعده. ومع ذلك فإن اسم (ابن جلوي) أسطورة يتحدث عنها الناس حتى يومنا هذا.

وإني - وإن كنت لا أحكم على نفسي بشيء - أشعر دائماً بتأثير هاتين المدرستين على طول مسيرة حياتي.

وفي محاولة لاختصار وتلخيص أبواب الكتاب تكون حيرة الكاتب لأنني في حالة الشروع في تجاوز كلمة أو حدث أجد انني سأفقد الموضوع الكثير لأن الكلمات بالرغم من بساطة أسلوبها وسهولتها فهي مع عمقها مترابطة بحيث تقضي العبارة الى أختها بترابط شديد لا يمكن فصله إلا عنوة مما يفقد المعنى والمبنى. وقد التزمت أن أدون وانتقل من باب الى باب ولو بالاشارة الى العناوين التي هي بحد ذاتها مجسمة للمواضيع. إلا ان هناك ما لا يمكن تجاوزه لحتمية بلورة الموضوع وإيصال حجم تأثيره الى القارئ الذي لن تكفيه هذه العجالة عن قراءة الكتاب حرفاً حرفاً وسطراً سطراً وصفحة صفحة من الصفحة الأولى الى آخر صفحة تحمل الرقم (٥٢٤) وبالرغم من ضخامة هذا الرقم إلا ان المتعة تلغي هذه المسافة مما يحتم المتابعة اللاهثة الى آخر سطر في مدة قياسية.

يعهد الأمير خالد الفيصل للكتاب بقوله: «حكاية التنمية في منطقة عسير - خلال الثمانية والعشرين عاماً الماضية - ما هي إلا حلقة من حلقات الملحمة التنموية الفريدة، التي قفزت بها المملكة العربية السعودية من مجتمع بسيط، الى آفاق العصر الحديث، دون أن تتزحزح قيد أنملة عن عقيدتها وأصالتها.

وهذا التفرد هو القيمة الحقيقية التي يتشرف جيل التجربة أن يستودعها أمانة الأجيال القادمة مع التأكيد على أن معادلة التوازن بين العقيدة والقيم، وبين الحضارة المادية لا تستقيم إلا بالفهم المستنير للمنهج الشرعي.

وأن أمة اختارها الله لهداية البشرية لا يقبل منها أن تَضل ولا أن تُضل، كما انه - جل وعلا - لا يقبل منها أبداً أن تتقاعس عن أسباب الريادة.

وبطبيعة الحال فإن نجاح التنمية الى ذلك المدى البعيد لم يأت ضربة حظ أو محض صدفة، بل كان وراءه - بعد توفيق الله - رجال أبلوا بلاء حسناً.

القيادات: تخطط، وتوجه، وتدعم.

والأجهزة: تنفذ، وتجتهد، وتخلص.

وجموع المواطنين: تحمل الحلم على جسور العمل الجاد الواعي، فيصبح حقيقة ماثلة للعيان.

وعند الحديث عن التجربة في عسير - كنموذج لغيرها من مناطق المملكة - فإن الأمانة تقتضي أن أستهله بشهادتي هذه عرفاناً بالفضل لأهله، وتبياناً لأدوار تاريخية تؤكد مصداقية القادة في رفعة امتهم مرضاة لربهم وأداء لواجبهم.

وشهادتي هذه لا تستند وقائعها من المجهول أو من حكايات الرواة، بل تقتصر على ما عايشته بنفسي - طوال سنوات التجربة - مع هؤلاء القادة الذين بذلوا جهوداً جبارة في قيادة مسيرة التنمية بكل الطموح والإصرار، فتذللت بعزائمهم الصعاب، وانهارت أمام تصميمهم العقبات، واختصرت إبداعاتهم عامل الزمن.

وإليهم - بعد الله - يرجع الفضل في النهوض بالمملكة على هذا النحو الفريد، الذي تحقق لها في زمن قياسي.

لذا أجد لزاماً عليّ أن أقدم «شهادة للتاريخ».

الاشارة الثانية

الكتاب جدير بالوقوف حوله أكثر والأجدر نشره حلقات لتعم الفائدة فهو صادر من أعماق مفكر، شاعر فنان فالعقل والقلب عندما يعملان في أي عمل فإنهما يجسدان الحقيقة ويعطيان المعاني المهمة حوله. فخالد الفيصل الذي عبر ثلاثة عقود من الزمن كان ولازال خلالها الأمير الشامل الذي يلقى بمعرفة وتجربة في كل الأعمال المناطة به كأمير، وما يجري في منطقته وما يريد لها لقد نقل في هذا السفر العظيم تجربته الرائدة في المنطقة فأضحت ذات سمات حيوية وجمالية أضيفت الى جمالها الطبيعي فصارت مدنها من المدن المتطورة ذات اللمسات الجمالية والفن المعماري.

نهضت منطقة عسير فكانت مثال النهضة الشاملة التي تعم بلادنا الغالية، وما لهذه المنطقة من جمال طبيعي فقد كانت مهمة أن تكون سياحية في هاجس الأمير الفنان فعمل الكثير من أجل أن تصل الى هذا الموقع الحلم الذي تحقق بعد مدة وجيزة ومن تسلم إمارة المنطقة. وصور في كتابه تجربة مثيرة كلفته جهداً كبيراً تناولها بالتحليل والوثائق متماهية مع التجربة التنموية الرائدة الشاملة في المملكة من واقع الأرقام والصور وتجربته لها في عسير كشاهد عيان عمل الكثير وعانى الكثير وحقق الكثير وأمامه الكثير. وبشموخ الرجال يعمل ويتطلع الى المستقبل من خلال العمل واستشراف الآتي.

كتاب بحق مرجع أساسي لدارس تجربة الخطط التنموية السعودية في العصر الحديث لكل دارس وإداري ومطلع فالصورة والرقم الى جانب المعلومة من خلال عسير حيث مهمته وهمه أن تكون متطورة في شتى المجالات واعية ومستوعبة لكل فن وجمال وجذب سياحي وانتعاش سكاني مراكبة المدن الكبرى.

إنها تجربة ناجحة بكل المقاييس خاضها رجل قائد سانده دعم القيادة الواعية ثم جهود أبناء المنطقة الذين كانوا خير عون في سبيل مسيرة النمو والعطاء وشاركوه وشاركهم في التطلع.

لقد جسد الكثير مما تحقق ومما لم يتحقق وما حدث من ايجاب وما حدث من سلبيات وكيف كان التجاوز الى ما هو أفضل في سبيل مستقبل مفعم بالمزيد من العطاء والتطور.

عرض وتلخيص: سعد الحميدين

سمو ولي العهد زيارة تاريخية ونتائج إيجابية شهدتها المنطقة مؤخراً

شهادة للتاريخ

جلالة الملك المؤسس الصالح المصلح عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

■ إنه رجل القرن الذي قيّضه الله لأمر قدره لا لخير الجزيرة وأهلها فحسب، بل لأمة الاسلام التي قدّم لها وللعالم نموذجاً للدولة الإسلامية المعاصرة. فقد نذر عمره - رحمه الله - لإنجاز مهمته المقدسة في توحيد أرجاء البلاد على شرع الله بيقين المؤمن الحكيم وجسارة المجاهد الشجاع.

وإذا كان قد رغب عن متاع الدنيا، وعاش زاهداً فيها، محتسباً أجره عند ربه فقد حرص على خير الدارين لأمته.. وحرّر لها مساحة الاحترام اللائق في ضمير العالم.

جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز

■ كان جلالته أول ملك يزور منطقة عسير، ثم تكررت زيارة جلالته للمنطقة ثانية.

ورغم ضعف الإمكانات آنذاك فقد نالت المنطقة من وراء الزيارتين خيراً. وافتتح - رحمه الله - أثناءها مستشفى أبها العام..

وتعرّف جلالته على المنطقة وحاجاتها عن كثب، وعمل ما وسعه الوقت والمتاح من امكانات لتطويرها.

وفي عهده هبطت أول طائرة على أرض عسير. وأحدث المزيد من المدارس.

جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز

■ اشهد انه استاذي، بل مدرستي ومنارتي التي اضاءت لي طريق حياتي.

ولقد منحني ثقته لأكون أميراً لهذه المنطقة وشرفني - رحمه الله - بحمل أمانة آماله العريضة في النهوض بها لتلحق بقية مناطق المملكة.

وأشهد انه عاملني بحياد تام، فلم اكن - عنده - أميراً مميزا لكوني ابنه، كما أنه لم يفعطني حقاً بسبب ذلك.

وأشهد انه أرسى دعائم النهضة هنا في «عسير»، فكانت أوامره تصدر باعتماد كل ما يُعرض عليه من مشروعاتها، ثم يتابع بنفسه مع الوزارات مراحل تنفيذها.

جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز

■ اشهد أن رسالته التي حملها إليّ الأمير محمد العبدالله الفيصل عشية ترشيحي أميراً لمنطقة عسير، كانت دافعاً قوياً لي على بذه المهمة.

وأشهد أنه - رحمه الله - طوال ولايته للعهد، ثم اعتلائه عرش البلاد، لم يرفض قط طلباً تقدمت به للمنطقة، ولم أعرض عليه مشروعاً لصالحها إلا أمر به.

وأشهد - على وجه الخصوص - أن أوامره التي صدرت بتوزيع الأراضي بالمجان على كثير من المستحقين في المنطقة قد أسهمت إسهاماً فعالاً في تنمية الإنسان، وفي دفع حركة التعمير والإسكان.

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

■ أعتز بأن ترشيحي بدأ من عنده بصفته وزيراً للداخلية آنذاك.

وأشهد أنه شجع طموحي نحو دور شامل للإمارة في التنمية وانني ما لجأت اليه في مشكلة تعترض العمل إلا ساعدني على حلها، ولا طرحت فكرة لمصلحة المنطقة الا تبناها ودعمها وشجعني على تنفيذها، وما تقدمت بمشروع إلا أمر به.

ومع أنه - أطال الله عمره - كان وراء كل مشروعات التنمية في المنطقة، بحكم مواقعه المتتالية في الدولة، إلا ان مشروع تحلية المياه الذي انقذ حركة التنمية في عسير من الشلل كان من أبرك أياديه البيضاء، وكلها مباركة.

صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز

■ أشهد أنه - حفظه الله - يتفهم كل المواقف التي أتقدم بها لسموه، ودائماً ما ألقى منه التشجيع للمضي قدماً في كل ما يتعلق بتنمية المنطقة.

وأشهد أنه - على وجه الخصوص - كان وراء اعتماد مشروع سد الملك فهد ببيشة، وما حققه من خير عميم لأهلها. كما كان سموه وراء مشروع الجامعة في أبها الذي آثر أن تحمل اسم أخيه الملك خالد بدلاً من اسم سموه.

وعلاوة على دعمه مشروع السياحة في عسير، فإن موافقة سموه لمؤسسة عسير للصحافة والنشر على اصدار صحيفتها اليومية «الوطن»، ودعمها سوف تنطلق بالمنطقة إلى آفاق إعلامية وتنموية رحبة بإذن الله.

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز

■ اشهد أن له فضل السبق بأول تنمية أساسية حقيقية في منطقة عسير، وذلك بإقامة مدينة الملك فيصل العسكرية، وقاعدة الملك خالد الجوية، وهما من أكبر وأقوى المواقع العسكرية في المملكة، وطلائع التنمية الحقيقية التي دفعت بالمنطقة الى مشارف نهضتها الحاضرة، والتي لولاها لاختلف الأمر هنا كثيراً.

وأشهد أن سموه وقف وراء كثير من المشروعات الخيرية بالمنطقة، وتبنى المشروع السياحي ليس في عسير فحسب، بل في المملكة عموماً، وله الدور الأساسي مادياً ومعنوياً، في انشاء كلية لعلوم السياحة والفندقة في أبها تحمل اسم سموه.

وللحقيقة فسموه - حفظه الله - يرجع إليه كبير الفضل فيما أصبت من خير في حياتي.

صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز

■ لما صدر أمر تعييني أميراً لمنطقة عسير كان سموه نائباً لوزير الداخلية، ثم أصبح وزيراً لها.

وأشهد أني - من واقع ارتباطي المباشر بسموه في كل أعمالي - وجدته خير من يقدّر، وخير من يوجّه، وخير من يعين.

كما أشهد أنه - حفظه الله - قد شد أزري في النهوض بمسؤولياتي، بتوجيهاته السديدة، وحسن تقديره.

وأشهد أنه يرجع لسموه الفضل في صدور نظام المناطق على الصورة المميزة التي ظهر بها. ولقد شرّفني بعضوية اللجنة التحضيرية المشكلة برئاسة سموه لإعداد مشروع النظام.